الفصـل الثالـث

بـردى دمشق

– الفصل الثالث–

" بردى دمشق"

عند ما وصلت ، كما ذكرت سابقا الى الشام استقبلني عدد من الاخوان الذين اعرفهم وخاصة الاخ فالح الدليمي في دمشق ، شاركته السكن في نفس الدار وفي مقهى صغير اسمه مقهى العروبه قرب سينما الاهرام في دمشق،عرفني على عدد من العراقيين واغلبهم من اللاجئيين السياسيين العراقيين آنذاك من البعثيين ، وتعرفت على مسؤول التنظيم لشعبة العراقيين (الصيدلي) أو كان حينذاك طالب في كلية الصيدله عبدالحسين عبدالصاحب مسؤول التنظيم والشهيد عبدالوهاب البكاء وباقر الحسني وشفيق الكمالي واحمد طه العزوز السامرائي،ومحسن الشيخ راضي ، ومنصور العبدالله ، وشاكر ابراهيم حليوة،وقحطان الطويل وعدد أخر من العراقيين ومن ثم ومرور الايام توسعت معرفتي تدريجيا بعدد كبيرمن العراقيين من البعثيين والشيوعيين والقوميين وكذلك زاملت عدد من السوريين والاردنيين الذين كانوا معنا في نفس التنظيم وعدد أخر من السعوديين اذكر منهم علي غنام ومن القوميين نعيم العزاوي وعبدالهادي الفكيكي (قبل ان يصبح بعثياً) وعماد العزيز ومن الشيوعيين سليم الجلبي وتوفيق منير .. وغيرهم .

وأعتبرت بعد فترة عضوا عاملا (بعد القسم) في تنظيم شعبة العراقيين والاردنيين وكنت احضر الندوات والاجتماعات التي كانت تعقد في مقر الحزب بالصالحية وكنا نطالع ونناقش جريدة حزب البعث ونتابع تصريحات ومقالات ومحاضرات المرحوم الاستاذ ميشيل

عفلق، والأستاذ صلاح الدين البيطار وكان حينها وزيرا للخارجيه. كما نتابع نشاط الحركات السياسيه وتصريحات اكرم الحوراني وسلطان الاطرش ومن الوجوه التي كنا نحاول الالتقاء بها والاستماع اليها اضافة الى القياديين أعلاه جمال الاتاسي ، عبدالكريم زهور ، منصور الاطرش ، فوزي عيون السود ، مدحت البيطار ، وأخرين لا أتذكر اسمائهم الان .. لقد وصلت الى دمشق وكان الحدث الاهم والابرز بعد نجاح البعثيين في صراعهم مع القوميين السوريين بعد ان تم تصفيتهم في سوريا بعد حادث اغتيال المالكي كان الصراع البارز على الساحه السوريه هو الصراع السوري (مع عراق نوري السعيد وعبدالاله) ومقاومة الاحلاف والمؤامرات على سوريا وكذلك المعركه بين سوريا والاردن ومن ثم تصاعد الصراعات مع تركيا ومع لبنان شمعون ، وفي داخل سوريا كان الصراع محتدما مع حزبي الشعب والحزب الوطني وبشكل أخف التنافس مع الحزب الشيوعي بقياده خالد بكداش . وكما ذكرت لم يبق بشكل ظاهري نشاط للحزب القومي السوري ، وتعرفنا على قياديين ايضا للاحزاب الوطنيه التحررية العربيه اثناء زيارتهم لدمشق ولكن الذي اثر فينا وكان يغذينا بالفكر القومي الاشتراكي ويعلمنا كمدرس عريق هو عضو القياده القوميه الاردني المرحوم عبدالله نعواس، واهم الاحداث التي تركزت في ذهني اثناء وصولي الى دمشق هو المعركه الرئيسيه بين سوريا وتركيا وكان حينذاك الشعار الرئيسي " تركيا واسرائيل ركيزتان للاستعمار " ومحاربة الحزب لفكره مشروع (أيزنهاور) وان شعار المرحله هي الاستعدادات الشعبيه للنضال العربي الموحد والكفاح المسلح ضد مؤامرات الاستعمار وتعزيز وحدة النضال العربي التحرري .

وكانت الصيحات ضد سوريا بأنها تتجه اتجاها يساريا تتقارب مع الحزب الشيوعي وان رئيس اركان الجيش السوري شيوعي المقصود به (عفيف البزري) وكان رئيس

الوزراء التركي مندرس يوميا يصرح ضد سوريا و يحرض النظام العراقي ضدهم لقد تعلمت من فترة مكوثي في سوريا منذ عام 1957 ولغاية 1958 ومن الحريه الفكريه والسياسيه المتوفرة في دمشق الشيء الكثير ولقد تمكنت من شراء عدد كبير من الكتب الصادرة آنذاك في مجال الفكر القومي والاشتراكي وكذلك حصلت على كتب عديدة في الفكر الماركسي اللينيني واصدارات دار التقدم في موسكو للينين وفكر ماوسي تونغ واليوشاوشي وغيرهم من المفكرين الماركسين ، وكانت جريدة البعث والنشرات والكراريس التي يصدرها الحزب ومطابع بيروت تجعلني دوما اتفرغ لقراءة مثل هذه الكتب وكذلك حضور الندوات والاستماع الى الحوارات التي كانت تتم آنذاك وتقريبا بشكل يومي مما ساعدني كثيرا في نضوج افكاري وتكوين شخصيتي وتعلم طرق قيادة التنظيمات وكيفية ادارة الجلسات الحزبيه وعلمتني الحوار الحر والتأثير بالجماهير وكنا نحن الشباب مرابطين دوما في مقر الحزب ونحضر اكثر الفعاليات الحزبيه وكنا من خلال تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي واجتماعاته نطرح افكارنا ونعمل على كشف اساليب القمع في العراق من خلال وسائل الاعلام العربيه ومن خلال تنظيماتنا ومن ثم بعدئذ من خلال تنظيمنا العلني الذي سميناه الطليعه العربيه في العراق وتعرفت على كثير من القاده الحزبيين في دمشق وبيروت وعلى كثير من الادباء والمثقفين الذين زاروا دمشق ومنهم قادة النضال الوطني في العراق والاردن ولبنان والجزيره العربيه والمغرب العربي.

لقد واضبت على حضور الندوات والاجتماعات والمحاضرات الثقافية والسياسية ، والاطلاع على معظم النشريات والكتب الصادرة آنذاك ، ولقد أشتريت مجموعة جيدة من الكتب القومية والماركسية والتاريخية ، لانني خرجت من بغداد متعطشا للتنوير الفكري وتوسيع

معرفتي ومعلوماتي خاصة عن الفكر القومي التقدمي. ومراحل الكفاح الوطني من أجل الأستقلال والتحرر ، وبناء الحياة الفكرية والنهوض العربي .

كانت معلوماتي عن الحركة القومية العربية ماقبل الحرب العالمية الاولى قليله جدا ، فبدأت أتطلع للتعرف على الفكر القومي العربي . وبالذات منذ **1908** ، بعد المتغيرات الأساسية في الامبراطورية العثمانية وكيف قدمت الحركات العربية المتحررة شهدائها الذين صعدوا على أعمدة المشانق منذ عام **1915** ، وكما أطلعت على كتابات المثقفين والادباء العرب في الدوريات القديمة التي كانت تتوافر في مكتبات بعض المنظمات القومية في دمشق ، ولقد أفادتني بعض الندوات الفكرية عن تطور الفكر القومي منذ المؤتمر القومي العربي الذي انعقد في باريس في منتصف عام **1913** ، ضد التسلط التركي والامبراطورية العثمانية والاطلاع على ملامح المفكرين العرب المتحررين ، أنذاك ومنهم عبدالرحمن الكواكبي . وعبدالغني العريسي . وكيف عرفَّ القومية الوطنية منذ**1913**"... العربي كل من يرتبط بهذه الأمة بوحدة اللغه وروابط القرابة والنزعة العروبية ..." ، وكذلك المفكر اللبناني العازوري والريحاني ، وهكذا أطلعنا على تفاصيل تصاعد "الثورة العربية" في الحجاز وانتشار الفكر القومي العربي في أشعار المشرق العربي ومغربه ، وكان يشوب هذا الفكر الخلط بين الهوية الاسلامية للفكرة القومية والهوية العربية التقليدية ، ولكن كان يشوب هذا الفكر خاصة في بيروت الاساس العلماني للقومية ، رغم الاعتراف بأن التراث الأسلامي جزءً من التاريخ العربي . وهنا تصاعدت ونمت الحركه التحررية العربية المناضله ضد الأستعمار الاوربي الجديد ، والتجزئه ، والاقليميه ولكن الصورة أختلفت ما بين الحربين الاولى والثانية وخاصة بعد الثلاثينيات حيث جمعت القضية الفلسطنية كل العرب برفضهم الأستيطان الصهيوني ،

والانتداب الانكليزي وتنامي الحركة الوطنية التحررية ، والتطلعات الوحدوية ، ورفض الاقليمية والتجزئة ، وظهرت تقويمات جديدة لحركة القوميه العربية .

وفيما يخص العراق كان لتأسيس "نادي المثنى" في عام **1935** ، تأثيرة القومي على بلورة الروح القومية العربية لدى الشباب ، وخاصة المثقفين منهم ، حيث كان مركزا فكريا مشعا للتيار القومي ، الذي بدورة ادى الى تنظيم الحركة التحررية الوطنية ذات الاتجاه القومي العربي ومن الاشخاص البارزين الذي ساهم بحركة مايس **1941** محمد يونس السبعاوي ورفاقه العقداء الاربعة محمد فهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب، وصلاح الدين الصباغ .

وكذلك كان نشاط حزب الأستقلال بعد تأسيسه في نيسان **1946** وكان من أبرز المؤسسين محمد مهدي كبة ، محمد صديق شنشل ، محمد فائق السامرائي وأخرون وهكذا تعاظم مطلب الأستقلال الكامل ، والوحدة العربية ، وتوجيهات أولية حول الازمات الاقتصادية والتخلف ومحاربة الأمية ، وقد برزت أفكار ساطع الحصري القومية بين صفوة من المثقفين وكانت افكارة تنبع اساسا من القوميين الرومانسيين الالمان وكان له تأثير ريادي على بدايات التعليم في العراق وهو سوري حلبي جاء الى العراق مع الملك فيصل الاول .وكان يركز في مفهومه للامة على عنصري اللغة المشتركة والتاريخ وبالذات اللغه العربية بكونها المكون الرئيسي للقومية العربية "... ان كل الشعوب التي تتكلم اللغة العربية ، كل الشعوب الناطقة بالضاد ... هي عربية ..." ، وظهرت في هذه الاوقات دعوات وحدوية مختلفه، كان منها على المستوى الرسمي مشروع الملك عبدالله عام **1941** "سوريا الكبرى" ، ومشروع الهلال الخصيب الذي نادى به نوري السعيد .

ولكن في بدايات الاربعينيات ظهر الى الوجود فكر قومي جديد (البعث) يؤمن بثورية وشعبية الحركة القومية العربية وضرورة التغيير الاجتماعي ، ورفض أي اساس عنصري للقومية وتغليب الطابع العلماني العلمي الموضوعي للفكر العربي، والالتفات الى التحولات الاقتصادية ، والتحرر الأجتماعي ، مع رؤيا جديدة للنهوض العربي، وان النضال التحرري يشكل الأساس الأهم وان ايدلوجية القومية العربية تقوم في هذه المرحلة على تحقيق الوحدة وهي عمل ثوري ، فالانقلابية عند البعث ، هي تغيير مستمر للواقع وخاصة التجزئة ، ونضال مستمر لتحقيق وحدة شعبية ديمقراطية أشتراكية ، ضمن منظور تحرري وحدوي تقدمي حضاري انساني ، وان القومية التي يؤمن بها البعث قومية اشتراكية في عصر الوحدات القومية الاشتراكية ان المنظور القومي العلمي هو منظور ديمقراطي ، يشع لأستيعاب الخصوصيات القطرية .

فالفكر البعثي الذي فهمناه آنذاك ونحن فتية "هو فكر ثوري يعبر عن الايدلوجية العربية القومية والنضال من أجل التغيير هو في نفس الوقت نضال وحدوي اشتراكي، وتغليب الجوانب العلميه والثورية والحضارية والانسانية للفكر القومي . فحركة البعث نواة حركة الثورة العربية والانبعاث القومي ، الذي يستوعب العلاقه بين الماضي والحاضر والمستقبل وان "القومية العربية والوحدة العربية" حقيقتان نضاليتان قبل كل شيء .

وكان عفلق يؤكد في محاضراته بمخالفته لمفاهيم الأخرين "كالفكر القومي" المحافظ الذي أعجب بتجربة الاصلاح الديني، أو بالفكر الليبرالي أو بالحركة النازية والفاشيه، والفكر التقدمي الذي تأثر بنظريات التطور، ففكر البعث يستوعب الدور التاريخي للجماهير العربية ، والنهضه العربية وأستيعاب التراث القومي ، والانفتاح على التيارات الفكرية المعاصرة

." القومية العربية واقع بديهي يفرض نفسه ، أن مجال الاختلاف وضرورة النضال هما في محتوى هذه القومية ، وهذه النظريه تتمثل اليوم في الحرية والاشتراكية والوحدة ...". " ... مفهومنا بعيد عن مفهوم القومية النازية، العروبة هي انسانية ، بأنها تقديس لقوميات الآخرين ... القومية المتعصبة هي من نتاج الاستعمار في بلدنا ..." وهي ان القومية مفهوم ثقافي – نضالي .. وليس مفهوما سلاليا عرقيا ..." .

ان منظور البعث الوحدوي يقوم على اساس مفهوم الامة المضطهدة المظلومة حيث ان النضال التحرري يشكل جزءا من النضال القومي ، والفكر الوحدوي على اساس مفهوم " الامة الكادحة " حيث المسألة الاجتماعية جزء من القومية . والمسيرة الوحدوية هي مسيرة حضارية ترفض قوى التجزئه والطغيان والاستغلال والعنصرية وان الدوله العربية المستقله الواحدة تقوم على نظام لامركزي وان السبيل الى توحيد الوطن العربي هو تحرير الاقطار العربيه ورفض التجزئه لتحقيق الوحدة الشعبيه التقدمية وان المرحلة الحالية هي مرحلة تحرر قومي . وحدة التحرر الشعبيه ضد الأستعمار والصهيونية والرجعية .

حركة القومية العربية اساسها التحرير والنهوض ، وهكذا حال القوميات في العالم الثالث التي تخالف القوميات الاوربية في القرنين الثامن والتاسع عشر ان القومية العربية هي قومية تحررية اشتراكية فالاستقلال طريق الوحدة والتقدم يرسم معالم النهضة العربية التقدمية المعاصرة فالقومية هي " وعي ، وانتماء ، وقضية، وموقف ، وحركه تاريخية ..." وهذه خلاصه مركزه للتوعية في ذلك الوقت.

وهكذا أيضا بدأنا نتعرف على التيار الناصري بعد ثورة **23**/تموز/**1952** ، وتيار حركة القومين العرب ، الذي تبلور في بداياته في بيروت بين بعض طلبة الجامعة الامريكية

" جورج حبش ، هاني الهندي ، جهاد ضاحي " من خلال " جمعية العروة الوثقى " وكانت أهم شعاراتها "الثأر" واسترجاع فلسطين وهي في مرحلتها الاولى أقرب الى الانغلاق منها الى الديمقراطية وهي حينذاك تصنف على يمين "حزب البعث" وكان دورها الشعبي محدود جدا وغير معروف وكان شعارها المركزي "وحدة وتحرر وثأر" .

وصلت الى دمشق وهي تعيش اجواء ديمقراطية تقدمية ، وتعاني من ضغوطات الجيش التركي ، والتحالف الاستعماري ، لموقفها الوطني والقومي بمساندة مصر عبدالناصر في حرب **1956** عند تأميم قناة السويس ، وقطع أنانيب النفط التي كانت تمر عبر أراضيها وكان هناك تعاون وتحالف بين حزب البعث والحزب الشيوعي ، وحزب الشعب والحزب الوطني ، ولقد وافقت الحكومة على طرح مشروع اتحاد فدرالي بين سوريا ومصر في حزيران **1956** وكان حزب البعث مشترك في الحكومة. ولكن أجلت المفاوضات بسبب العدوان الثلاثي على مصر ولم تبدأ المفاوضات مجددا الا في أواخر عام **1957** بين السوريين والمصريين .

ولقد أعد حزب البعث مشروع مبادىء لدستور "وحدة أتحادية" ، ولكن ضغط القيادة العسكرية وسفر(**14**) ضابط للتحاور مع عبدالناصر دفع الامور للاتفاق على وحدة"شاملة اندماجية" . وبعد الأستفتاء الشعبي على الوحدة . وصل عبدالناصر الى دمشق في يوم الاثنين **16**/شباط .

واستمر هذا الوضع الى قيام الجمهورية العربية المتحدة العرين القومي ضد الاستعمار الغربي وحلفائهم في المنطقه واسرائيل وبقينا نعيش احداث التحضير للوحده منذ تشرين الثاني عام **1957** ونتطلع الى تحقيق هذا الحلم ونطلع على اخبار تقدم هذه الخطوه

من خلال اجتماعات الحزب ومن خلال جريدة البعث ومنذ نهاية كانون الثاني عام 1957 أصبح الحديث جدياً عن الوحده وليس كما ينشر بأنه اتحاد بين قطريين والى شباط 1958 حيث ولدت الجمهورية العربية المتحده بشكل رسمي وحضرنا الاستفتاء على الوحده وشاركنا به ، اذ خصص لنا سجلاً خاصاً منفرداً بالمقيمين العرب في دمشق. وعشنا مهرجانات فرح دامت اكثر من ثلاث اسابيع في دمشق ولم تنم دمشق ابدا في تلك الليالي وكذلك عندما حضر عبدالناصر الى دمشق عشنا مع الجماهير السوريه واللبنانيه الخطب والمهرجانات التي تمت بمناسبة هذا الحدث العظيم آنذاك، وفي قمة هذا الإندفاع والحماس فوجئنا بعد أيام بقرار حل الحزب وكان رأي التنظيم العراقي في دمشق بأن هذه الخطوه خطوه سلبيه وسوف لاتخدم الوحده وسوف لايتمكن الحزب ان يتعايش مع الاتحاد القومي ولقد أظهر زملاؤنا ورفاقنا في تنظيم هذه الاعتراضات وبشده وصلابه وقاومنا حل الحزب في سوريا ولكن كان رأينا غير مسموع وتأثيرنا كذلك محدود الى أن سمعنا بأن قيادة الحزب في العراق اصدرت بيانا بمهاجمة هذا القرار وادانته وبوجوب استمرار الحزب في المحافظه على كيانه وتنظيماته وعدم التعاون مع الاتحاد القومي ومنذ ذلك الحين أخذت شخصية المرحوم ميشيل عفلق في نظرنا تهتز وبدأنا ننظر اليه بأنه شخص متفرد متسرع وخاصة عندما وقف خطيبا وبدأ يمدح عبدالناصر بكلمات عاطفيه سطحية وتعظيم لاحدود له وحدثت عدة مشادات كلاميه بيننا وبين بعض السوريين على هذه الخطوه ومن جهه اخرى بدأنا بشن حمله تشنيع ودعايه ضد الاتحاد العربي الهاشمي الذي تم بين العراق والاردن كرد على الوحده بين مصر وسوريا وتحت راية الاستعمار والرجعيه والملكيه وتوحيد راية الارهاب والطغيان والتخلف وهكذا ، بعد ان أنتهى حماس الفرح عشنا نحن العراقيون في دمشق حالات الترقب وفعلا بدأنا وبشكل مبكر نلمس تأثيرات

الضغط من ازلام عبدالحميد السراج فلقد منعنا من ممارسة اي نشاط بأسم حزب البعث بل تم تحذير صاحب المقهى الذي كنا نجلس فيه من استقبالنا وبدأوا يشددون علينا في الشام ، رغم اصرارنا على الاستمرار في نشاطنا ولكن لم نصدر اي بيان بأسم حزب البعث العربي الاشتراكي وأنما ركزنا أن يكون نشاطنا بأسم الطليعه العربيه في العراق واستمرت تتصاعد الاتهامات الى العناصر البارزه من اللاجئيين العراقيين وتحديد نشاطهم والمطالبه بعدم الاجتماع وحل تنظيمنا والا سوف نضطر لمغادرة دمشق ، وهكذا بدأت تهتز صورة جمال عبدالناصر ليس بين السورين فحسب، وانما شملتنا نحن المغتربون الباحثون عن الحريه والديمقراطيه ... واخيرا بمرور الايام اكتشفنا بأن ناصر لايختلف عن غيره من الحكام العرب ، بمصادرة حرية الرأي والتعبير في طوفان أجهزة المخابرات والسلطات البوليسيه والقمعيه ، وسلسله هرميه لا تعد ولا تحصى من الاجهزه البيروقراطيه وتبلورت لدينا مبكرا معارضة سيطرة العسكر على القيادات السياسية ومؤسسات الدولة ، ومقاومة عسكرة المجتمع .

وإمتلأ الاتحاد القومي الاشتراكي بعدد كبير من القيادين الانتهازين والرجعين والعسكريين الذين لايعرفون أي شيء من السياسة وهم مجموعة من أصحاب المصالح الاميين عرفوا اسهل الطرق للوصول الى مسؤولي السلطة الجديدة . وتمكن بعضهم من تسلق السلطة وتحقيق مصالحة وبفترة قصيرة أصبحوا هؤلاء يشكلون فئة جديدة من المستغلين الاثرياء واصحاب النفوذ والسلطة حتى في المؤسسات الثقافية والاعلامية.

وأخذنا ننادي بأصرار وعزم اكيد لاوحدة بدون ديمقراطية ولاحرية بدون مساواة وعدل أجتماعي فأهداف الوحدة والحرية والاشتراكية أهداف مترابطة ومتكامله . وتحقيقها لايتم بالفصل بين هذه الاهداف فهناك علاقة جدلية ديناميكية متشابكة ، وهكذا تعلمنا

مبادىء الحزب النظرية . فيجب أن يكون هناك تناغم حي بين النظرية والتطبيق. وكان في الحكومة الوحدوية (7)وزراء سوريون ، في القاهرة ولكن سرعان ماتبينت الاختلافات بشكل واضح للجماهير حيث ان الحزب بعد حل نفسه أصبح ينتظر تشكيل حزب جماهيري جديد للوحدة ، وتم الاتفاق على تشكيل الاتحاد القومي المركزي ولكن أصر عبدالناصر أن يكون تشكيلة من كل الناس بواسطة الانتخابات في حين أراد القياديون الحزبيون أن يتم تشكيل حزب يضم فقط العناصر المؤمنه بأهداف الوحدة والاشتراكية وتصاعدت الاختلافات ، عندما قام عبدالناصر بسحب الضباط البعثيين وبعض القادة العسكريين الى القاهرة ، وتجميدهم بأعمال ووظائف هامشية ، وتجميد الوزراء البعثيين وسيطرة المخابرات على اجهزة السلطة التنفيذية ، وحصرها تدريجيا في سوريا بسلطة السراج ، فأصبح الزعيم الاوحد المطلق الصلاحية في سوريا. وكان رأي بعضنا في " دمشق " وفي بعض تنظيمات الحزب أن طموحات بعض قيادات الحزب العليا للسيطرة على السلطة وبالذات أكرم الحوراني ، ومن ثم البيطار وعفلق وآخرون غير مبررة... ولقد برز ذلك جليّاً بعد أن تمت الوحدة ، وأعيد تشكيل أجهزة السلطة ...!!!

وهذا سبب رئيسي من أسباب الاختلافات والصراعات التي تفجرت بعدئذٍ.

واثناء ذلك وتقريبا في أيار **1958** بدأنا نتابع بأنتظام يومي اخبار الصراعات في لبنان ومن ثم الانتفاضه الشعبيه في لبنان ضد التجديد لرآسة شمعون وعهده الاسود ، وحاولنا أن نشكل مجموعة مسلحه للتطوع مع اللبنانيين وفعلا نظمنا انفسنا نحن والاردينيون للقيام بذلك وعند انجاز هذه المهمه رفض السراج السماح لنا بأستلام اسلحه والسفر الى لبنان ولكن ساعدنا بعض زملائي من العراقيين والاردنيين ان نسافر الى طرابلس في لبنان عن طريق

الزبداني وان نلتحق مع اصدقائنا في لبنان وبالذات في طرابلس ونشاهد مناوشاتهم ومعاركهم مع ازلام شمعون من داخل المدينه القديمه مع الدرك وانصار كميل شمعون في الميناء وكنا بعض الاحيان نلتقي في مدرسه المقاصد الاسلاميه وفي مقرات البعثيين ولكن بعد أيام لم نجد بأن الامر يستهوينا كثيرا ، لأن الانتفاضه كانت واسعه جدا وتشترك بها جهات عديده ، وفي طرابلس لايوجد شيء يشوقنا مثلما كنا نسمع عن بيروت ولكن لتعذر سفرنا الى بيروت رجعنا مرة ثانيه الى الشام مع صديقنا عزيز السامرائي.

ولقد تمتعت بوقتي في دمشق، حيث كنت فتىً يافعاً مقبلاً على الحياة .. وكنت أجتماعياً، ومحبوباً، من رفاقي وزملائي العراقيين والسوريين والأردنيين، وأخرين من لبنان والخليج ... لقد سكنت في أول الأمر في الصالحية في دار خاص لسكن الطلبة، تديره أمرأة سورية (دمشقية)، ولكن بعد أشهر عرفت بأنه هناك منطقة جديدة ذات بناء عصري ... وشوارع وخدمات ممتازة تسمى (المزرعة) أنتقلت إلى شقة ذات طراز جميل تطل على مزرعة أو بستان ولها (شرفات رائعة) وهذه الدار مجهزة بأحدث الأثاث العصري، والمفروشات الجديدة ولقد كان في الشقة ثلاثة غرف، أحدها كانت لي والأخرى للمرحوم فالح الدليمي، والثالثة لصاحبة الدار وأبنها الضابط الذي يخدم في منطقة (القنيطرة) ولا يحضر إلى الدار إلا في فترات الإجازة.

وتدريجياً أصبح لي أصدقاء من أهالي المنطقة، ومعارف وأقمت صداقات مع بعض العوائل ... وكانوا يطعمونني (بالأكلات الدمشقية) ويشاركوني بسهراتهم وبنزهاتهم خارج دمشق وتعرفت على بعض الفتيات في المنطقة والطالبات، وقضيت معهم أوقات زمالة بريئة رائعة وجميلة ... وليّ ذكريات عطرة في ربوع الشام في أحضان بردى، ودمرّ، والهامةّ،

والمهاجرين بين سفوح قاسيون ... وما أحلى الأوقات التي قضيناها في مصيف (الزبداني) وبلودان حيث قضيت ثلاثة أشهر (العطلة الصيفية) ممتعة في تلك الروابي الخضراء والبساتين الرائعة، ولقد سكنت مع عائلة كريمة في الزبداني لمدة (3) أشهر أثناء الصيف، قضيتها في القراءة، واللقاءات مع بعض المعارف هناك خاصة من العراقيين.

كنت في الصباح الباكر، أتوجه مع العائلة التي أسكن في دارها إلى مزرعتهم، حيث أقاموا بين الكروم وأشجار التفاح والخوخ .... مظلةّ فسيحة يتساقط قربها شلال صغير من الماء ... وكان جد العائلة يقضي كل وقته بتدخين (الأرجيلة) ولا يأكل شيئاً إلا الدراق والشمام وبعض الحبات من العنب ... وكنت أساعد العائلة بقطف وجمع الثمار، أو اللعب مع أولادهم وبناتهم (كرة سلة) أو التنزه في البساتين المجاورة، وعند الراحة وفي فترة الظهيرة، نشوي اللحم، أو الدجاج، وكانت الأكلة المفضلة لديهم (الكوسة) و (اللبن مع الزيت والزعتر) وفي كثير من الأحيان تناول (المكدوس) والمخللات، ولا تخلو المائدة في كثير من الأحيان من (المتبل) و(حمص بطحينة) و(التبولة) وكانت الأبنة الكبيرة للعائلة ماهرة في تنظيم المائدة والطبخ ...وكانت هواية الأبن الأكبر العزف على العود ومحاولة الغناء رغم أن صوته أجش أبح...

أصطحبت معي إلى (الزبداني) في العطلة الدراسية عدداً من الكتب الثقافية والسياسية بعضها أشتريتها والأخر أستعرتها من بعض الأصدقاء، وكنت أقضي فترة ثلاثة ساعات أو أربعة بعد الظهر في القراءة، وفي المساء بعد التاسعة كنت أجتمع ببعض الشباب لنقضي ساعات الليل ونصعّد إلى (بلودان)، أنها أيام شبابية وفتوة نابضة متفتحة للحياة ... ولكنني ورغم كل المغريات، ورغم أنني كنت أعيش في بحبوحة لأن عائلتي وفرت لي راتباً شهرياً

جيد ... رغم كل هذه الأجواء والظروف المفتوحة كنت متوازناً، وكنت أميل للهو البريئ، ولا أميل الذهاب مع بعض زملائي الأكبر منيّ إلى الملاهي والسهرات الليلية، فكانت لي أجواء هادئة ممتعة، حيث كنت محبوباً في أوساط محيطي (الدمشقي)، ولم أتفرغ أصلاً لذاك النوع من اللهو الماجن، وكنت في بعض الأحيان أقضي أوقاتاً مرحة في ربوع لبنان بصحبة بعض المعارف والأصدقاء العراقيين والسوريين، وأقضي معظم الأوقات في الصباح لزيارة المكتبات وشراء الكتب التي لا تتوفر في دمشق، وكنت أيضاً أشتري جلّ ملابسي وإحتياجاتي الأخرى من لبنان حسب الحاجة ... أنها أيام لا تنسى. وهكذا استمرت أنشطتنا داخل دمشق الى تموز **1958** حيث اندلعت ثورة **14** تموز **1958** وكانت فرحتنا كبيره وعارمه وأردنا العوده الى أرض الوطن بأسرع ما يمكن ولكن كانت الحدود مغلقه ولعدة أيام ، لا اتذكر بالضبط يوم العوده المهم في بداية آب تمكنا من العوده الى العراق وفعلا رجعت مع معظم رفاقي وزملائي الى العراق مبتهجين فرحين بالقضاء على الحكم الملكي والرجعي في العراق وبداية عهد جديد وعندما وصلت الى العراق أعدت ارتباطي مجددا بالحزب وصدر قرار من القياده القطرية بأن أنسب عضوا في قيادة تنظيمات الكراده الشرقيه وكان بيتنا أنذاك في منطقة الناظميه في الكراده قرب معمل (باتا) ومارست عملي عضوا في قيادة الكراده الشرقيه وكانت حينذاك في مستوى فرقه وكان تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد بمستوى شعبه فقط .